﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: 20]

❁ مُناسَبَةُ الآيةِ لِما قبلَها:

في الآية السّابقةِ إشارةٌ إلى مُلْك داوودَ ﷺ، وبُرْهانٌ عليه مِن حَيْثُ إنَّه مالكٌ التَّصَرُّفَ في الأشْياءِ العَظيمَةِ قَسْرًا، فَكانَ كَأنَّه قيلَ: كُلُّ ذَلِكَ إثْباتًا لِنُبوَّتِه؛ وتَعْظيمًا لِمُلْكِه، وفي هذه الآية تصريحٌ بهذا[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَشَدَدْنَا﴾: الشَّدُّ: العَقدُ القَويُّ، وأصلُ (شددَ) يدُلُّ على قوَّةٍ في الشَّيءِ[2]. والشَّدُّ: العَدْوُ. وشَدَّ النّهارُ: ارتفعَ. وشَدَّ عَضُدَه: قَوّاه. واشْتَدَّ الشَّيءُ: من الشِّدَّة[3].. والمراد هنا: قَوَّيْنا وثبّتنا دعائمَ مُلكِه.

2) ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾: أصلُ (حَكَمَ) يدُلُّ على المَنعِ[4]. ومنه سُمّيت اللّجامُ: حَكَمَةَ الدّابّة. والحِكْمةُ هذا قياسُها؛ لأنَّها تَمنَعُ من الجَهلِ. والحِكْمَةُ: إصابةُ الحَقِّ بالعِلْم والعقل، فالحكمةُ مِن الله تعالى: معرفةُ الأشياء وإيجادُها على غايةِ الإحكام، ومِن الإنسان: معرفةُ الموجودات وفعلُ الخيرات[5]. والمقصود هُنا: النُّبوَّة، وإصابة الصَّوابِ في القولِ والفعلِ مع الإتقان.

3) ﴿وَفَصْلَ﴾: أصلُ (فَصَلَ) يدُلُّ على تمييزِ الشَّيءِ وإبانتِه[6]. وهو بَوْنٌ ما بينَ الشَّيئين. والفَصْلُ من الجَسَد: موضِعُ المَفْصِل، وبينَ كلِّ فَصْلَيْنِ وصْلٌ. والفَصْلُ: القَضاء بين الحقِّ والباطل، واسمُ ذلكَ القضاءِ فَيصَلٌ. وقضاءٌ فَيْصَليٌّ وفاصِلٌ. وحُكْمٌ فاصِلٌ[7]. وقولُ الله جلّ وعزّ: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا﴾ [فصّلت: 3] لَهُ مَعنيان؛ أحدهُما:

(1) البقاعيّ، نَظْم الدُّرَر: 16/ 355.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (شدد).
(3) الجوهريّ، الصِّحاح: (شَدَدَ).
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حَكَمَ).
(5) الرَّاغب، المفردات: (حَكَمَ).
(6) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (فَصَلَ).
(7) الخليل، العين: (الفصل).

تُفصّلُ آياتُه بالفواصل، والمعْنَى الثّاني: فصَّلناه: بيّنّاه[1]. والمرادُ هنا: بَيانُ الكَلامِ وبلاغَتُهُ، وجَمْعُه للمَعنى المقصودِ الفاصِلِ بيْنَ الحَقِّ والباطِلِ.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

ذَكَرَ اللّهُ تعالى مِنّتَه وعطاياه على داوودَ ﷺ بالمُلْك العظيم، حيثُ قَوّاه بِما أعطاه مِن الأسباب وكثرة العَدَد والعُدَدِ، التي بها قوَّى اللّهُ مُلْكَه، ثمّ ذَكَرَ مِنَّتَه عليه بالنُّبوَّة والعِلْم العظيم، والبيان الشّافي في كُلِّ قَصْد، والفَصْل في الكلام والحُكْم[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الوصل في ﴿وَشَدَدْنَا﴾:

إتمامُ النّعمة بالمُلْكِ والنُّبوَّة

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ عاطفةٌ على ما قبلَها، عطفَ الخبرِ على الخبر؛ لكمالِ الاتّصالِ بين الجملتين؛ والغرضُ من العطف: إظهارُ تمامِ النِّعمة على هذا النّبيِّ الصّالح؛ إذ هيّأ اللّهُ تعالى له المُلكَ على بني إسرائيلَ، وثبّتَ دعائمَهُ، وآتاهُ النّبوَّة والكتابَ معَ الحِكمة والبيانِ الفصيح الفاصلِ بين الحقِّ والباطل.

الفعلُ الماضي مادّةً وصيغةً وإسنادًا:

العطاءُ الإلهيّ مفخَّمٌ وعظيمٌ

آثرَ النّظمُ الجليل إيرادَ الفعلِ ماضيًا في قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾ الدّالِّ بمادّتِه على إعطاءِ داوودَ مُلكًا قويًّا؛ إذ مادّةُ الفعل تُشيرُ إلى أنّه مُلكٌ مشدودٌ قويُّ الدّعائم ثابتُ الأركانِ، غيرُ قابلٍ للفكِّ والحلّ، والدّالِّ بصيغته على أنّه أمرٌ ثابتٌ محقَّقُ الوقوع غيرُ قابلٍ للنّقض والإبطال، والدّالِّ بإسناده إلى ضميرِ المتكلّمين الجمعِ على تعظيم هذا العطاء الإلهيِّ، والمِنّةِ الرَّبانيَّةِ لداوودَ ﷺ.

(1) الأزهريّ، جمهرة اللّغة: (الفصل).
(2) السّعْدي، تيسير الكريم الرَّحمن، ص: 454.

دلالةُ الاستعارة في ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾:

الملكُ المبنيُّ على أُسُسٍ راسخةٍ لا يزولُ

في تعليقِ الشّدّ بالمُلك استعارةٌ مكنيّةٌ؛ إذ شبّه المُلكَ بحبلٍ مشدودٍ ومفتولٍ، لا يمكنُ فتحُه ولا هدمُه ولا إبطالُه، ثمَّ حذفَه وأبقى من خواصِّه ولوازمه الشّدَّ، وأسندَه إلى (الملك) تخييلًا وإظهارًا للمُلك المعنويِّ بهيئةِ الأمر الحسيِّ؛ ليكون دالًّا على أنَّ المُلك الذي وهبه اللّهُ لداوودَ كان مُلْكًا ثابتًا لا يزولُ، ولا يمكنُ التّجاسُرُ على نقضِه وإبطالِه، ولذا وقعتِ الإضافةُ في ﴿مُلْكَهُۥ﴾ للدّلالة على تخصيص ذلك المُلك القويِّ الَّذي وهبَهُ اللّه تعالى لداوودَ ﷺ، وتأكيدِ نِسْبته إليه تصريحًا، وذلك من تمام النِّعمة وكمالها، فيتولّدُ الأُنسُ في قلبِ النّبيِّ ﷺ عندَ ذِكْره والالتفاتِ إلى أمره، بما يؤولُ إليه أمرُ دعوته وأُمّتِه من مُلكٍ عظيم في حالِ أوبتها إلى ربِّها، وعملِها بشريعتِهِ وأحكامِه.

دلالةُ الوصل في ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾:

من إتمامِ نِعمة المُلك النّبوّةُ والحِكْمة

وُصِلت الجملةُ الفعليّة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ بما قبلَها من منحِ المُلك القويِّ الذي لا يزولُ؛ لكمال الاتّصال بين الجملتين الخبريّتين، وذلك الوصلُ أفادَ إكمال النّعمة وإتمامَها على داوودَ؛ إذ وهبه اللّه ملكًا عظيمًا، ونبوّةً صادقة، وخِطابًا فصْلًا مبينًا.

دلالةُ الماضي مادّةً وصيغةً وإسنادًا:

رِزْقُ اللهِ وإنعامُه يسيرٌ وسهلٌ

أوثرَ التّعبيرُ بالفعل الماضي في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾، الدّالِّ بمادَّته على المَنحِ بكلّ يُسرٍ وسُهولة دونَ فعل المجيء؛ للإشارة إلى سُهولة هذا الإتيانِ وتَأتّيه ويُسْره، والدّالِّ بصيغته على تحقُّقِ ذلك الإتيان، وأنّه لا سبيلَ إلى إنكارِهِ ونفيِهِ، والدّالِّ بإسناده على عظَمةِ الإتيان؛ إذِ العظيمُ تعالى لا يمنح إلّا النّعمةَ العظيمة، وفيه إشارةٌ إلى وجوب القيامِ بذلك المُؤْتَى العظيم، من خلالِ تنفيذ أحكامِ

الحكمة وأوامِرها، فالتَّعبير بنون الجَمْع فيه إشارةٌ إلى عظَمة ذلكم العطاءِ الإلهيِّ وفخامته، وهل يوجدُ أفضلُ مِن عطاء النُّبوَّة والعِلْم؟!

دلالة التّعريف لـ ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾:

النّبوّةُ أعلى كمالاتِ الحِكْمة

عبَّر النّظمُ الكريمُ بالاسم المعرّف باللّام في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾، وهي اللّامُ الجِنْسيَّةُ المُفيدةُ للكمال والاستغراق، وأعلى درجاتِ الحِكمة الوحيُ، الّذي يمتلكُ الكمالَ والتّنوُّع في الحِكمة وأفرادِها؛ لأنَّ حُسنَ التّصرُّف والنّظرَ في حقائقِ الأمور ومعرفةَ الأسرارِ والكمالاتِ، لا تتحقّقُ بشكلٍ كاملٍ من دون وحْيٍ؛ ومن ثَمَّ كان العدولُ عن الوحي والموحَى به إلى الحِكمة، فتكونُ (الزّبور) حكمةً عظيمةً؛ لاشتمالِها على الحقّ المُبين.

دلالةُ الاستعارة التّصريحيّة والمَكنيّة:

العدولُ إلى الحِكْمة فيه مزيدٌ من القوّة

اشتملَ قولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ على الاستعارة التّصريحيَّة والمَكنيّة، إذ دلّ النّظمُ على تشبيه الموحَى به من الزّبور بالحِكمة أوّلًا، ثمّ تشبيهِ الحكمة بأمرٍ يُمنحُ كالمال والمُلك، فأسندَ إليها الإيتاءَ تخييلًا؛ للدلالة على أنَّ الوحيَ أعلى ما ينالُهُ الإنسانُ من المواهبِ والمِنَح، فتتحقَّقُ الاستعارتانِ التّصريحيّةُ والمكنيّة، وإنّما شبّه الوحيَ بالحكمة؛ لبيان أنّها أنسبُ بالشِّدَّة والقوَّة؛ إذِ الحِكْمةُ من الأمر المُحكَم القويِّ الشّديد، فهي أنسبُ بالمقام والسّياق الدّالِّ على أنَّ داوود ذو الأيدِ والقوَّة في المُلك وفي الشَّريعة معًا، وبذَينِك يمتلكُ السُّلطتَينِ الدّنيويَّة والدّينيَّة.

دلالةُ تقديم ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ على (فصل الخطاب):

التَّقديمُ للسَّبب والشَّرف

عبَّر النّظمُ الكريمُ عن المُؤتَى به لداوود ﷺ بتقديم ﴿ٱلْحِكْمَةَ﴾ على (فَصْل الخِطاب) في قوله: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾؛ لِشَرفها، أي: شَرَفِ النُّبوَّة والوحي وكَمالِ العِلْم على فَصلَ الخِطابِ، أي: الكلام البليغ الفاصلِ بين الحقِّ والباطل، وبين الصَّواب

والخطأ، فيكون التّقديمُ مراعاةً للأشرف، كما يحتملُ أنّ المنظورَ إليه في التّقديم التّرتُّبُ والتّسبُّب؛ إذ يلزم من إيتاءِ الوحي والحكمة التّمكُّنُ من الخطاب الفاصلِ بين الصَّواب والخطأ.

دلالةُ عطف ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾:

كمالُ نَفْس داوودَ ﷺ، وكَمالُ خَلْقِه

(الواو) في قوله: ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ عاطفةٌ على ﴿ٱلۡحِكۡمَةَ﴾ قَبْلَها، وقد بَيَّنَ أبو حَيّان وجْهَ ارتباطِ المعطوفِ بالمعطوفِ عليه بقوله: "ولَمّا كانَ تَعالى قَدْ كَمَّلَ نَفْسَ نَبيِّهِ داوُدَ بِالحِكْمَةِ، أرْدَفَهُ بِبَيانِ كَمالِ خَلْقِهِ في النُّطْقِ والعِبادَةِ"[1]، ويظهرُ لنا أيضًا أنَّ الحكمةَ المتمثّلةَ بالحُكمِ الشَّرعيِّ السَّديد، والوَحْيِ الإلهيِّ الحكيم، يحتاجانِ إلى لسانٍ فصيحٍ، وقوّةٍ نُطقيَّةٍ مُبيّنةٍ تعملُ على إفشاءِ الحِكمة وتبليغِ الدّعوة وإظهارِ الصَّواب وإبطالِ الخطأ.

دلالة إضافة المصدر ﴿وَفَصۡلَ﴾:

النّعمةُ في منطقٍ واضح، مُفرّقٍ بين الحقِّ والباطل

اشتملَ قولُه تعالى: ﴿وَفَصۡلَ ٱلۡخِطَابِ﴾ على تركيبٍ إضافيٍّ، تكوّن من (الفصل) وهو مصدرٌ مضافٌ إلى موصوفِه؛ إذِ الأصلُ: الخطابُ الفَصْلُ، وفي إضافةِ المصدر إلى موصوفِه مدحٌ للخطاب بأنَّه كاملُ الوضوح والسَّداد؛ فهو مفصولٌ بعضُهُ عن بعضٍ، أوْ حاسمٌ مُحكَمٌ فهو فاصلٌ بين الصَّواب والخطأ، إذِ (الفَصْلُ): التَّمييزُ بين الشَّيْئين. وقيل للكلام المُبين: (فَصْلٌ) بمعنى المفعول، وأصْله: أنَّهم يقولون كلامٌ مُلْتَبِسٌ مُختلطٌ لا يَبين؛ لتداخُلِه أوْ مُعاظلته، فقيل في نقيضِه: كلامٌ فصلٌ، أي: واضحٌ سديدٌ، وبناءً عليه فإنَّ الإسناد حقيقيٌّ؛ إذِ الخطابُ يقعُ عليه الفصلُ. ويجوز أن يكونَ الفصلُ بمعنى الفاعل، أي: الفاصلُ بين الحقِّ والباطل، وبينَ الصَّحيح والفاسد وبينَ السَّمين والغَثّ[2]، وبناءً عليه: فإنَّ الإسناد

(1) أبو حَيَّان، البحر المحيط: 7/ 374.

(2) درويش، إعراب القرآن: 3/ 343.

مجازٌ عقليٌّ؛ إذِ الخطابُ لا يكون فاصلًا، لكنّه أُسند إليه الفصلُ لأنّه الآلةُ، ونلمح في إضافة المصدر للموصوف قوّةً اتّصفَ بها الممدوحُ لسانًا، كما اتّصفت نفسُه بقوّة الحِكمة، وذلك منسجمٌ مع كونه ﴿ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ﴾.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع والأربعون،
سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 49 ، 812 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-641-51-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 49 : المجلد التاسع والأربعون، سورة الصّافّات من الآية 145 إلى سورة الزُّمر الآية 04.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-641-51-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1524626 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»